

دلالة أسماء الشخصيات الذكورية في الرواية النسوية؛ خاتم ل: رجاء عالم أنموذجاً
 The significance of the names of masculine characters in the feminist novel
 "khatim" by raja alem a model

* خضرة حمراوي¹ / بوزيدي هلاء²

hamraoui Khadra¹ / bouzidi hala²

مخبر الأدب العام والمقارن عناية، مخبر الشعرية وتحليل الخطاب عناية.

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)¹، جامعة باجي مختار عناية (الجزائر)²

University of 20august 1955 Skikda(algeria)¹. University of bajii mokhtar anabaa(algeria)²

k.hamraoui@univ-skikda.dz¹ / Hala_ombouagi@yahoo.com²

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/05/06

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

يتناول هذا البحث دلالة أسماء الشخصيات الذكورية في النصوص الروائية الأنثوية وتحديدًا نص خاتم ل: رجاء عالم، حيث يتوقف عند دلالة الأسماء التي توزعت بين أسماء ذات مرجعيات تاريخية، وأخرى تخيلية حملت العديد من الأبعاد والدلالات، حيث أرادت من خلالها الروائية أن تُنفذ بعض المعتقدات التي ترسخت في الذهنية العربية حيث نصبت الرجل سيدًا لا محالة، مُبَيِّنة لنا زيف المجتمع، نافية عنه صفة الذكورية. الكلمات المفتاح: ذكر، اسم، شخصية، رواية نسوية، دلالة أسماء.

Abstract :

This research deals with the significance of the names of male characters infemal novel textes specifically in the text "khatim" by Raja Alem. Where we stand at the significance of the names that diffent between names, with historical reference, and imaginary ones. The novelist wanted to refute some of the beliefs that were entrenched in the Arab mentality, which perpetuates the image of the man's sovereignty, indicating the falsity of society and the truth of themale.

Keywords: Male, name, personal, the feminist novel, the meaning of the names.



* خضرة حمراوي: k.hamraoui@univ-skikda.dz

مقدمة:

تعد الكتابة بأنواعها نشاطاً إبداعياً يُمارسه الجنس البشري بنوعيه الذكر والأنثى، إلا أنّ هذه الأخيرة تُمارسه وفق خصائص جوهرية تميزه، ليأتي نضها مُخالفاً لما هو مُتعارف عليه، مُنبثاً أفكاراً، ورؤى يسعى من خلالها إلى الدفاع عن حقوق المرأة، وعن وجهة نظرها ورفع الحيف والظلم عنها، فقد ظلت الأنثى لزمن بعيد مُغَيّبة عن النشاط الإبداعي ففي موروثنا الثقافي المرأة تُلهم ولا تُبدع.

إنّ الشخصية من العناصر المهمة في النص الروائي، فهي التي يوكل إليها مهمة القيام بالأحداث، باعتبارها من صنع الكاتبة تُنسب إليها ما تشاء كالأفعال، والصفات، والأسماء؛ فالشخصية (هي كل مُشارك في أحداث الحكاية سلباً أو إيجاباً ... هي عنصر مصنوع، مُخترع، ككل عناصر الحكاية فهي تتكوّن من مجموع الكلام الذي يصفها، ويُصوّر أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها) (لطيف، 2022، الصفحات 213-214)، وبما أنّها من صنع كاتبتها، تخترعها بُغية نقل تصوّراتها وأفكارها، وشفرائها إلى المتلقي، مما يجعل الكاتبة تتفنّن في وضع أسماء مميزة لشخصياتها بُغية لفت انتباه القارئ، وإثارة.

فهل هذه التسميات وُضعت فقط لهذا الغرض، أم أنّها تأخذ بُعداً آخر يتجاوز كونها مجرد أسماء؟ وهل تنفتح هذه الأخيرة على مجالات أخرى نُحيلنا على صاحبها ومهامه ومكانته في المجتمع؟ وهل التسميات التي وضعتها الروائية مُشابهة لتسميات النصوص الذكورية، أم أنّ أغراضها مُخالفة تماماً للأغراض التي يضعها الكاتب؟

أولاً. رؤية رجاء عالم حول تسمية الشخصيات

تعد رجاء عالم من رائدات الأدب النسوي السعودي المعاصر، لها عديد المؤلفات السردية القصصية و المسرحية و الروائية نذكر منها ستر، حبي، موقد الطير، خاتم، طوق الحمام، باهبل مكة، الرقص على سن الشوكة، أربعة صفر، طريق الحرير و غيرها. وتعد أول امرأة عربية تفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية البوكر . وتحاول الكاتبة ان تخط لنفسها أسلوباً سردياً تجريبياً مميّزاً، خاصة في اختيارها لشخصيات نصوصها وأسماءهم و أدوارهم، حيث تسعى عادةً عند تسمية شخصيات نضها إلى جعلها تتناسب والدور الذي تقوم به، فكل اسم يحمل على عاتقه مهمة توصيل دلالات الأفعال التي تقوم بها شخصيات الرواية والأدوار التي رُسمت من أجلها؛ فالتسمية ليست اعتباريّة بل لها أهداف مُسطرة تروم لتحقيقها باعتبار الشخصية بمثابة القلب الذي تُضَب فيه رؤى وتوجّهات الروائية (إنّ أسماء الأعلام ليست بعيدة كل البعد عن أن تكون مجرد بطاقات، بل تكتسي دلالات عدّة، إنّها تهبنا معلومات مُتعدّدة حول الشخصيات وعلاقاتها باهتمامات الكاتب وأفكاره، وأذواقه الأدبية، وبحته الذي لا يني عن الذات والآخر) (مجموعة من الباحثين، 2013، صفحة 48)، تُبيّن هذه المقولة الأغراض الحقيقية التي تسعى الروائية إلى تحقيقها من خلال الأسماء الموضوعة للشخصيات؛ فالاسم عندها ليس مجرد تسمية تُطلق على شخصية حتى لا تبقى نكرة، بل هو لغة موحية ومعبّرة تُساهم في تشكيل فكرة عن صاحبها والدور الذي سيقوم به، حيث يُساهم في تفسير طبيعة الشخصية، وموقعها الاجتماعي، ومكانتها في النص الروائي، وهذا ما يؤكّده عثمان بدري في قوله الآتي: (الاسم يُفسّر طبيعة الشخصية الروائية، ويُفسّر موقعها في السلم الاجتماعي ويُفسّر دلالتها في الحدث الروائي الذي جاءت في

سياقه بالنفي أو الإثبات، ويُفسّر منزعها، واتّجاهها الأيديولوجي (عثمان، 2000، صفحة 51). لذلك لا تضع الروائية تسمياتها دونما تخطيط مُسبق، بل عن وعي و دراية وقصد وغاية ليتناسب والدور المنوط بالشخصية، وهذا إنّ دلّ على شيء دلّ عن حسن تدبّر الروائية وما اتّساق أسماء الشخصيات وصفاتها ووظائفها إلاّ هدف تسعى من خلاله لفت انتباه القارئ، وشحذ ذهنه، وتمير أفكارها وإعلانها له، حيث (توخى الروائي أن تكون أسماء شخصياته متناسبة مع مُسمياتها، بحيث تُحقّق للنص احتماليته ومصادقيته) (عزام، 2005، صفحة 18)، ومنه فإنّ الروائية أثناء تسميتها للشخصية تُركّز على مدى تطابق التسمية مع أفعالها، باعتبار الشخصية أحد الأعمدة التي يقوم عليها النصّ الروائي، وهذا ما سنسعى على تتّبعه ورصده من خلال نص: "خاتم" —: رجاء عالم، فقد لفت انتباهنا الأسماء التي انتقبتها لشخصيات نصّها؛ فمعظم الأسماء المُسنّدة لشخصياتها جاءت مُتعمّدة ومُختارة بعناية شديدة.

ثانيا. شخصيات بين الذكورة والأنوثة:

تزرخ رواية "خاتم" لرجاء عالم بالعديد من الشخصيات، حيث صوّرت حالة المجتمع العربي، وما يعانيه أفراد من تسلّطه، هذه الرواية تعبير صادق عن حالة العرب المُنهكة، خلال فترة المليك، وما آلت إليه بسبب التواجد العثماني الذي دخل بدافع الدين فأذاق العرب من وبال أمره الكثير، مُحطّماً لآمالهم، مُستغلاً لكافة رجالهم، مُهدّراً دمائهم، مُحلّلاً امتلاكهم لهم، مُحزّماً أملاكهم، ورجلهم عليهم.

1. شخصية "خاتم" في ثوب الذكورة والأنوثة:

يتحور عالم شخصيات الرواية حول فكرة السند، وهو الذكر الذي يُستند إليه في الكبر و يُحتجى به، والحيلة التي لجأ إليها أحد أثرياء مكّة ليتمكّن من حماية سنده من الخطر الذي يحّدق بكلّ ذكور مكّة، جاعلاً من خاتم شخصية تتأرجح بين ثوبي الذكورة، والأنوثة، إلا أنّ ما كان في الحسبان قد وقع بالفعل، وتعرّض / يتعرّض خاتم للقتل على يد جيش أحد الأمراء، هذه الشخصية التي جعلتها الروائية عنواناً لنصّها "خاتم"، وهي الشخصية الرئيسية التي يقوم عليها النصّ الروائي، والمفجّرة لمسألة الذكورة والأنوثة، فلم تُشر الروائية إلى الظروف المُحيطة بولادتها؛ حيث نجد أنفسنا أمام مشهد ولادة زوجة الشيخ نصيب والتعتميم المارس، والتكتم حول جنس المولود، فمُنذ البدء لم يحدّد جنس المولود سوى بقولهم سميت على بركة الله خاتم، فني: (صباح تلك الولادة لم ترتفع زغرودة في قلوب الشقيقات، ولادة من الدهشة والحيرة، حيث انقطع سيل التوائم فجاء مولود فرداني، هكذا أصبح البيت على "خاتم") (عالم، 2001، صفحة 26)، لتكون خاتمة الولادات، خاتمة ولادة التوائم، وخاتمة النهايات، وخاتمة الموت المترصّ بذكور العائلة؛ فإذا لم يأخذهم الوءاء أخذتهم الحرب خاتمة الأحلام بالولد الذي يحمل الاسم، ويكون السند للشيخ عند كبره، والهدف من هذه التسمية التي أطلقها الشيخ نصيب على خاتم هو القمني؛ تمّتي توقف الحروب، واختفاء شبح الموت المترصّ بالذكور، دون غيرهم من بني الإنسان، تمّتي تغيّر وضع أمة خاتم؛ ليكون زمنها زمن خاتمة للأوبئة، والحروب المودية بحياة الذكور.

وعليه فخاتم من الخاتمة؛ (والخاتمة من كل شيء عاقبته) (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 218)، هذا المولود الجديد الأخير حُمِّل على القيام بمهمة مُزدوجة، مكنته من ولوج باب العوالم المخفية لكلا الجنسين، كيف لا وقد جعلت الروائية من الأنوثة، والذكورة ثوبًا تلبسه/ يلبسه خاتم، وتغيّره/ ويغيّره حسب الظروف، والمواقف، ففي الأماكن المفتوحة، ومجلس الشيخ نصيب، ولطلب العلم يلبس ثوب الذكورة فـ(صلاة الجمعة بالحرم، هو طقس ذكري، وحدها خاتم تجلس هناك) (عالم، 2001، صفحة 49)، وفي الأماكن المغلقة كالحمامات، والغرف العليا من البيت وغرفة النوم، والتجمّعات الأنثوية كالأفراح والولائم، يلبس ثوب الأنوثة وهذا ما يُبينه المقطع الآتي: (عُرس ابنة جيرانهم. هذا يوم تتأثت فيه خاتم قضت الصباح مع أمّها وزوجة الجيران خديجة ... جلست في محرمتها وصديريتها) (عالم، 2001، الصفحات 119-120)، هذه الحيلة جعلت خاتم تعتاد على السلطة في ثياب الرجل، والحنان والعاطفة في ثياب الأنثى، ممّا أهلها لتكون بمثابة خاتمة لأحادية الجنس والثبات، والاستقرار على هيئة واحدة، ممّا أثار تساؤلات عديدة لدى كل من يعرف هذه الشخصية، فقد طرحت زرياب الحلبيّة تساؤلها على خاتم قائلة: (ماذا ينتظر الشيخ نصيب لكي يستقرّ بك في جنس؟) (عالم، 2001، صفحة 117)، تتأجج نار الحرب وفتنتها، ويأتي الجواب على سؤال لطالما شغل مجتمع خاتم كثيرًا، وطُرح كثيرًا، ويستقرّ الشيخ نصيب بخاتم في ثياب الأنثى، لتكون الحرب خاتمة لتأرجح خاتم بين عالمي الذكورة والأنوثة، والاستقرار على هيئة واحدة.

إلا أنّ الكاتبة رجاء عالم في مفاجأة صادمة تختتم بها الرواية تحدد جنس خاتم المتكتم عنه الذي تأرجح، وطال تأرجحه بين الأنوثة والذكورة، وطال التساؤل حول حقيقته ما شاء، فهي في كل مرة توهم المتتبع لأحداث نصّها الروائي بأنّه توصل لتحديد ماهية جنس خاتم، إلاّ أنّه وفي كل مرة نجد أنفسنا أمام التساؤل ذاته: من هو أو هي خاتم هذا؟ أهو ذكر؟ أو أنثى؟

توحي الكاتبة بهذه التسمية بأنّه لن يتسنى لنا معرفة جنس هذه الشخصية لن تكون إلاّ في خاتمة النص، لتعلو بذلك دهشة بين شخصيات نصّها قبل أن تعلونا نحن أيضًا كقُراء، ومكتّلين، فقد: (ظَلَّت دهشة الخديعة محفورة على وجه هلال في موته، محفورة في عيون الأخوات والجواري وتلك المُتَلَصِّصَة من وراء الرواشن، كلّها جاحضة لما بين ساقَي خاتم المُلقَى على الطريق عار مكشوفًا للرواشن والعيون، وشهوة الحكايا) (عالم، 2001، صفحة 254)، شخصيات لا طالما عاشت خاتم معها، وبينها، ظلّا منهم بأنّ خاتم هذه أنثى ألبسها والدها ثياب الذكر لرغبته الشديدة في ذكر يرثه، وليكون سندًا له، وإذا به عكس ذلك تمامًا ذكر ألبسه والده ثياب الأنثى، وهذا راجع لرغبته الشديدة في حماية ابنه من لعنة الموت التي تترصّ بذكر عائلته، فإذا لم يقتلهم سيل الوباء، طالتهم أيدي قتلة الحروب، وقتلهم سيول الدم الجارفة التي تأخذ كلّ ذكر يأتي في مجرى طريقها، لتكون خاتمة كما كانت مُتَوَقَّعة من قبل ولادته، خاتمة على يد الحرب التي كانت السبب الرئيس الذي جعل الشيخ نصيب يفضل اللجوء إلى هذه الحيلة، التي لم يأت نجعها، وإنّما كانت السبب الرئيس في جعل خاتم مُتَذِيبَةً أو بالأحرى مُتَذِيبًا بين الذكورة، والأنوثة فكانت الحرب التي خاف منها الشيخ نصيب خاتمةً للازدواجية التي عاشها ابنه خاتم، وكان له من اسمه نصيب.

2. "زرياب الحلبية" جسد أنثوي واسم ذكوري:

هو اسم مُركَّب من لفظتي زرياب والحلبية، إلا أنَّ ما يتبادر إلى أذهاننا في أول الأمر لما نسمع اسم زرياب يُظنُّ أنَّه اسمٌ لذكر، وزرياب موسيقي معروف من العصر العباسي يتمتَّع بحسُّ مُرهف، وصوت عذب له إسهامات جتارة في عالم الموسيقى والطرب، إلا أنَّ لفظة الحلبية المنسوبة إلى اسم زرياب جاءت مؤنثة كما أنَّها تُحيلنا إلى منطقة جغرافية، ممَّا يُحيلنا إلى أنَّ صاحب هذا الاسم أنثى، حيث ورد على لسانها في حوار لها مع خاتم قائلة: (يا هلا أنا زرياب الحلبية، أنتِ البنث التي جاء بها هلال في ثياب صبي، وأنا البنث باسم صبي؟) (عالم، 2001، صفحة 110)، مُفارقة عجيبة جمعت فيها رجاء عالم بين اسم ذكر، وجسد أنثى، ويعود ذلك إلى رغبتها في جعل صاحبة هذا الاسم تتقمَّص دور الموسيقي المُبدع، وكان لها ذلك فقد برعت في استخدام العود وعلمت رفيقتها/ رفيقها خاتم، طاردةً بذلك الوحشة والحزن التي تعيشها هي ورفيقاتها في الدحيرة، التي كانت بمثابة سكن ومقر عمل لهنَّ، كما تُسهب زرياب في شرحها للسبب الرئيس الذي جعل والدها يُطلق عليها هذه التسمية، ألا وهو ولعه الشديد بالطرب قائلة: (تحلني أي اسم ذكر من عشقه للطرب وللأندلسي زرياب ستماني على اسمه) (عالم، 2001، صفحة 142).

وإذا كان زرياب الأندلسي اكتشف أمورًا جديدة وأضافها إلى عالم الموسيقى والإبداع وكان له السبق في مجاله فإنَّ زرياب الحلبية كان لها الفضل في اكتشاف خاتم لجسدها/ جسده، ومعرفة ماهية جنسها/ جنسه، والتوصل إلى ذاتها/ ذاته، وكلَّ ذلك كان عن طريق العود فالعود (يُشعرها كما العائد لذاته، للصمت الذي ينتقم داخله... زرياب الحلبية التي عرفت عنها مالا يُعرف وكنمت حتى عن نفسها ما تعرف) (عالم، 2001، صفحة 137)، مع اختلاف طفيف هو أنَّ زرياب الأندلسي قد اكتشف أمورًا، وعمل على نشرها ليعمَّ ذكرها على الجميع، بينما زرياب الحلبية كتمت ما اكتشفته، وتوصلت إليه، تاركةً للصدفه مهمة القيام تعميم ما اكتشفته، وقد كشفت الحرب ما لم يكشفه لا زرياب الحلبية، ولا الشيخ نصيب وزوجه، كشف آثار أمارات الدهشة، والحديعة في كلِّ المحيطين بخاتم.

هذا بالنسبة للفظه زرياب أمَّا بالنسبة للفظه الحلبية فهي تُحيلنا إلى منطقة جغرافية تقع بسورية، مشهورة بالموسيقى، والطرب إذ لها جذور ضاربة في هذا المجال، يشهد لها التاريخ بذلك وما نسبُ الروائية زرياب إلى حلب إلا لأهداف، وأغراض معينة؛ حيث (لا يمنع هذا الاسم من أن تكون له وظيفة سردية أصلية في العمل الأدبي. وبالمثل، تُارس الإشارة إلى اسم علم، أو فضاء جغرافي ... ثلاث وظائف:

- نُقطة إرساء مرجعية لفضاء يُمكن التأكّد من وجوده؛

- التركيز على قدر شخصية معينة؛

- تكتيف اقتصادي لأدوار سردية مسكوكة) (هامون، 2013، الصفحات 40-41)، أرادت الروائية إضافة مرجعية حقيقية عندما نسبت شخصية زرياب إلى الموقع الجغرافي مُكتفئةً من المعنى الذي تؤدِّيه، والدور الذي قامت به هذه الشخصية فلولاها ما اكتشفت خاتم جسدها وما عرفت ماهيته خاصّة وأنَّ هذه الأخيرة عاشت لما يُقارب عقدين من الزمن في ازدواجية جسدية تارةً تخال نفسها أنثى وتارةً أخرى تخالها ذكرا، لتكون زرياب الحلبية بمثابة المُكتشف لنغمة موسيقية جديدة يظنُّها الآخر نغمة مركبة، في حين هي نغمة مُفردة، فريدة من نوعها متميّزة.

3. فكرة السند ودلالاتها في تسمية شخصية "خاتم":

قبل أن يُرزق الشيخ نصيب بخاتم كان يرغب بشدة في سند يستند إليه، فهو الذي يمنحه جواز المرور والاستمرارية في هذا الوجود، مما جعله يسعى جاهداً إلى تحقيق رغبته، ولو عن طريق تبني ولد، وكان له ما يريد، لئلا يترك عليه تسمية سند، وبالعودة إلى المعجم نجد أنّ السند هو ما رُكن إليه، واعتمد عليه (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 454)، وهذا ما تحقّقه شخصية ابن الشيخ نصيب بالتبني، والذي أطلقت عليه تسمية سند تيمناً، ليغدو اسماً على مُستى، إذ يُعدّ هذا الابن في نظر الشيخ نصيب بمثابة عمودٍ للدّار، وهذه الفكرة لم تكن حكراً على الشيخ نصيب فقط، بل ترسّخت حتى في ذهنية بقية أفراد عائلته، أو بالأحرى فكرة تناقلت عبر الأجيال منذ القدم، حيث ورد على لسان خاتم، وهو يُحاور أخاه سنّداً قائلاً: (يراك كعمود لهذه الدار. أنسيّت: أنت سند شيخوخته) (عالم، 2001، صفحة 57)، بمعنى أنّه الركيزة الأساسية التي يتركز عليها الشيخ في كبره، واللبنة الأساسية التي تقوم عليها الدار، هذه الركيزة كانت مصدر فخر واعتزاز، ليكون بذلك بمثابة النبوءة التي تُشير إلى كون وقت الخلاص قد آن قريباً، حيث تصف الروائية حالة من تبني الولد فقد: (تقبل الشيخ ذاك التكريس، صار يُقدّمه بالقول: "سندي ... يقولها بفخر أقرب للنبوءة أو للوعد بالخلاص. أغدق عليه كوله) (عالم، 2001، صفحة 7)، ليحدث ذلك فعلاً بعد ثلاث سنوات من ولادته صحّت الدار ذات فجر على قدوم خاتمة الولادات.

تعمّدت الكاتبة رجاء عالم تسمية شخصيتها سند فهذا الاسم جعلته المهدي المنتظر، المنقذ لشخصيات مختلفة ذات مكانة مرموقة في المجتمع: كالشيخ نصيب، وتحقيق رغبته، كذلك كان مُرافقاً لخاتم في جولاته، ومُغامراته الاستكشافية، وكما كان ركيزة الشيخ نصيب، والحافظ له، كان أيضاً حافظاً لأصول الصنعة، فقد تتلمذ على يد شيخ الجواهرجية سفر ياقوت، وتعلّم منه صنعته التي عادة ما تُلقن أصولها، وأسرارها لنسل صانعها، وسفر ياقوت لا نسل له إلاّ ولد أخذه السفر عنه بعيداً؛ مما جعله يتبنّى هو الآخر سنّداً ليلقّنه أصول صنعة الأجداد قبل أن تغنى الأجساد، وتطلع الروح إلى ربّ العباد.

إذا كان السند يعني الدعامة والركيزة، فإنّه عادةً ما يكون عمود البيت الداعم الأساس من الحجر الصلب الشديد المتانة، لذلك قامت الكاتبة رجاء عالم بجعل شخصيتها تقوم بهذا الدور مُؤفّرةً له كل الظروف الملائمة التي يُحقّق من خلالها الدور المطلوب منه، فكان: نعم السند للشيخين والولد، مُشتغلاً في مجال الحجارة الكريمة، التي نُجحت لغتها في تطويعه، واستهوّته ليتمكّن من استنطاقها وصقلها، فغدا عارفاً بعوالمها، وخبائياً أسرارها.

ثالثاً. دلالة أسماء الشخصيات الثانوية في رواية "خاتم":

1. شخصية هلال:

ارتبط ظهوره في الرواية بوجود الشخصية المحورية خاتم، فقد كان يرافقها أثناء طفولتها في تلك الجولات السرية لاكتشاف دار الشيخ نصيب، والطبيعة والوجود، تقاربٌ روحي يجمع بينهما، هلال بسواده، وخاتم ببياضه، علاقة غريبة تجمعهما، أثارت حفيظة زوج الشيخ سُكينة، التي لا تخل من إبداء مشاعر الاحتقار له، فهي سرعان ما أنهت هذه العلاقة وأغلقت الأبواب في وجهها.

وهلال هذا فتى مُشاغب، ومتمرد لم يسلم أحدٌ من شغبه، وشيطنته، فلا حيوان سلم من بطشه، ولا بشر، يهوى التعليم على ضحاياه تاركاً توقيعه، ليكون بمثابة ختمٍ خاص به، وكأنّه ينزع إلى وشم أجساد ضحاياه لإذلالهم والخط من قيمتهم، فالتعليم كوشم الحتم يترك أثراً في الجسد، وهذا الأثر لا يمحى، مهما طال عليه الزمن، بل يبقى راسخاً فيه مُدلاً لصاحبه، حيث: (شعر الكل بالخطر، شعروا بتوق هلال للإذلال، هو لا يُقاتل ليقتل إنّا، وفقط ليُمرغ الأنوف في التراب، تُحرّكه شياطينٌ مهانةٌ تتقد للوجوه المعقّرة الكسيرة، الوجوه المخلوعة من عزّها وسوددها. وهلال – مُخلصاً لشياطينه تلك – يركّز ضرباته على ما يوجع ويدفع الضحية للركوع لا أكثر) (عالم، 2001، صفحة 224). أفعال أقلّ ما يُمكن القول عنها أنّها شيطانية خطيرة، لا يملك المرء إلاّ الدعاء له بالهداية، فهذه شيخة الدحديرة تُخاطبه قائلةً: (أنت يا ولدي مُولعٌ خِلقة، حطبة من نار جهنم. الله يهدي ملائكتك) (عالم، 2001، صفحة 205).

يكسّي وجود هذا الفتى في مجتمعه، وكلّ من همّ حوله بتلك الهالة من الغموض، والقوّة، ففي كل مرّة كان يغيب فيها يعود ليظهر بقوة أكبر، فمهما كانت درجة الضعف والألم التي كانت سبباً لغيبه، فإنّه ينبعث منها من جديد؛ ليكون أكثر قوّة، وصلابة، وإذا كان ظهور الهلال بمثابة بداية شهر قمري جديد، فكذلك كان ظهور هلال الفتى التحيل بمثابة بداية جديدة لغارة جديدة، وقتال جديد، ومتاعب جديدة لمن حوله (غاب هلال بعدها ربّما لشهر أو يزيد، انقطعت أخباره... ثم صارت الأخبار المتفرقة والمتناقضة تأتي: بأنّ هلال قد ظهر... كلّ الأخبار تحييء... اتفقت على الرجوع بخفة شومته وفتكها، ليس مثله من يضرب بالشومة*، يجدونه في كلّ معركة تصفيّة حسابات) (عالم، 2001، صفحة 135)، وظهور هلال وغيبه مُقترن بالقمر، وبالعودة إلى قاموس الأسماء نجد أنّ اسم هلال يعني: (عُزّة القمر، واسم جدود وشعراء جاهليين، وقائد شجاع من بني تميم) (الأرناؤوط، 1979، صفحة 94)، وهذا ما ينطبق فعلاً على صاحب هذا الاسم، من شجاعة وقوّة، وروح قيادية، يُلبأ إليه في الأوقات الصعبة، والمواقف الخطرة.

لقد: (صار هلال الحامي لمن لا حامي له، صار المُفضّل لمُرافقة المواقف الواقعة في خطر) (عالم، 2001، صفحة 225)، فتّى أخذ على عاتقه مهمة حماية المظلومين، وكلّ من لا حامي له، يُلبأ له لأداء المهام الخطرة التي لا يقوى على أدائها سواه، كلّ هذه التصرفات جعلت المحيطين بهلال، ومن يخشونه يُطلقون عليه تسمية الجنّ، والكُنيّة عادةً ما تُطلق باعتبارها علامات تُستخدم للإشارة إلى الموقع الاجتماعي، أو المستوى الثقافي... فهي تتولّى مهمة تمييز الشخصية مُنبّهةً المُتلقي إلى مواطن اختلاف هذه الشخصية عن غيرها، فهي حسب عبد الله الغدّامي: (تتحوّل إلى "إشارة" لا لتدلّ على معنى، وإنّما لتشير في الذهن إشارات أخرى، وتجلب إلى داخلها صوراً لا يُمكن حصرها. حيث يركز على ما يُحدثه من أثر إشاري في ذهن المُتلقي ينتج عنه أن تقوم في الذهن صور ينفعل لتخيّلها) (الغدّامي، 1998، الصفحات 26-27)، وهذا بالفعل ما تُشير إليه الكُنية التي يحملها هلال فكلّ من تصل إلى أسأعه لفظة الجنّ، تُثار مخاوفه نتيجة لما تُحيل إليه من عوالم الماورائيات، ولما تحتويه من قوى خارقة لا يُمكن رؤيتها، ولا التنبؤ بأفعالها، ومتى يقع عليك أذاها، والأساطير التي حيكت حولها. وقد ورد ذلك على لسان أحدهم قائلاً: (هلال هذا ألّعن من نخاولة الجنّ، لو لم يعرف كيف يؤذيك مشى إلى جوارك، وداس على ظلّك) (عالم، 2001، صفحة 224)،

يبتغى هلال الجن في تعذيب من حوله، وبطريقته الخاصة فقد حيكت حول ضرباته حكايا غريبة بغرابة عالم الجن، والأساطير. إضافة إلى شخصيات أخرى فمثلاً نجد:

2. الشيخ نصيب:

ومعنى كلمة (النصيب : هو الحظ من كل شيء) (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 925)، وعليه إذا كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا فقد أخذ الشيخ نصيب نصيبه -حظه وحصته- من هذه الدنيا في الشطر الأول - المال - ، ولم يبق على الشيخ سوى الحصول على النصف الآخر، إلا أن لعنة الحرب والأوبئة التي منست المنطقة التي يقطنها حالت دون ذلك، فباءت محاولاته الست بالفشل مما جعله يبحث عن سند له حتى لو لم يكن من صلبه، فقد ورد على لسان زوجته القول الآتي: (كل هذه الأعوام ونارك يا شيعي نصيب تتجمع لبذر حامل الاسم، والآن ها أنت تتشدد صوب المنافس ومن العبيد، خرت واستخرت ابن جارية لصبة مرچاك، لصبة نصيب) (عالم، 2001، صفحة 12).

لقد سعى جاهداً لأخذ حصته من حجة الأولاد الذكور، وكان له ذلك في الأخير بعدما تبنى ابن عبده وُلد له ولد ذكر سماه خاتم.

3. سُكينة:

وهي زوج الشيخ نصيب، واسمها جاء من السكون، والهدوء؛ وسُكينة هي (تصغير سَكينة، وهي من الهدوء واللين والوقار) (الأرنؤوط، 1979، صفحة 122)، فعلاً تنطبق عليها هذه المواصفات، فهي تلك الزوج الهادئة الطيعة، التي لها تلك القدرة الفائقة على تحمّل المتاعب، والآلام فمثلاً أثناء وصف مشهد ولادتها لخاتم فقد واجهت آلام المخاض بصمت وسكون، ولم تُطلق أية صرخات تُبدي فيها آلامها، وقد وصفها الكاتبة في أحد المقاطع قائلة: (نظرة سُكينة بجُر من الساكن، ذاك الرمل الذي يبتلع أعتى القوافل، بحر من رمال معجونة بتلك الشياطين التي تتحلب توقاً للنسل ولا تنسل) (عالم، 2001، صفحة 11).

و رغم أن زوجة الشيخ أنجبت ست توائم إلا أن القدر لم يُسعفها، ولم تُنصفها بيئتها الكثيرة الأمراض والأوبئة، والتي بسببها تفقد في كل مرة ذكراً حتى خلت دارها من الأولاد الذكور، وتوقها الشديد، وزوجها للسند إلا أن ردة فعلها في كل مرة تجاه هذا المصاب الجلل كانت ساكنة وهادئة.

أما عن: سُكينة؛ وهي شخصية أنثوية وقد أُدرجت لما لها من علاقة هامة في عالم الذكور فهي الزوجة، والأُم وسيدة البيت، مالكنه، وهي من يقع عليها فعل الذكور والمستقبله لهم ولأفكارهم.

4. العبد فرح:

وهو اسم مُركّب يتكوّن من كُنية العبد، وفرح، والعبد دلالة على ما مُلك هو وآباؤه من قبل (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 579). وبالفعل يعمل هو وزوجه لدى الشيخ نصيب منذ الصغر، واسم فرح جاء (من زوال الضيق، والعُسرة) (الأرنؤوط، 1979، صفحة 72). وهذا ما ينطبق على صاحبه؛ فقد كان على يد العبد فرح الفرج، فقد أُخرج من براثن العبودية، والفقر والضييق الذي كان يقبع فيهم، لإنجابه للولد الذكر، حيث تبوأ وعائلته مكانة

هامة عند الشيخ نصيب وخاتم، فعن طريق هذا المولود الذكر يتحقق للشيخ مُبتغاه، ويصبح له سند يرتكز عليه، ففي نظرة مجتمعاتنا العربية لا تستقيم الحياة الأسرية للرجل إلا إذا أنجب ذكراً.

ولفظ عبد حسب كوثر محمد علي (يُشير في إحدى دلالاته التراثية المنتشرة إلى الرجولة المفرطة (جُبارة، 2014، صفحة 66)، ورجولة المرء في مجتمعاتنا العربية عادةً ما تُقاس بإنجابهِ للولد الذكر، وهذا ما تحقّقه شخصية العبد فرج، وقد أدت تسمية فرج معنى الفرّج، واليسر، لكلا العائلتين، حيث تحقّق على يد العبد فرج الفرّج للشيخ نصيب، والفرّج له هو أيضاً.

5. الأمير غالب:

اسم غالب هو اسم فاعل مُشتق من الفعل غلب: بمعنى قهره، وغُلب على الشيء: أخذ منه قهراً. (جمع اللغة العربية، 2004، الصفحات 687-688)، وكأنّ الروائية باستخدامها لهذا الاسم تؤد القول بأنّ الصراع حول السلطة، والسيادة هو صراع خالد، ودائم بدوام وجود الإنسان على الأرض، والغلبة للأقوى ومن يأخذ الشيء أخذاً، وعنوة قاهرًا به من تصارع معهم، تُطلق عليه تسمية غالب، وتوظيف هذا الاسم في نص خاتم أدى معنى القاهر للناس، ودور سيف من سيوف الموت.

لقد كان هذا الصراع القائم بين الأمراء السبب الرئيس في تدقّق سيول الموت في مكة، حيث ورد ذلك (كلّ مكة ارتجت لإطباقة جيش الأمير غالب على حامية الأمير أحمد... ذاك حال مكة التي لم تخمد إيقاعات ثورتها قطّ، تسري الحروب والثورات تتبلغ رؤوس بعضها في أنشطوة لا تنفتح وتُطلقهم، قدر مكة سيول الدّم من هذا التناحر على الإمارة) (عالم، 2001، الصفحات 247-248)، وقد كان الأمير غالب غالباً لجيش الأمير الذي وقف في وجهه وحاربه مُسقّطاً أماره هذا الأخير، مُعتلياً عرش مكة.

خاتمة

عمدت الكتابة رجا عالم في نصّها إلى اختيار أسماء لها دلالات ومعاني تتماهى مع الأدوار التي تقوم بها الشخصيات - أصحاب هذه التسميات -، حيث تستمدّ هذه الأخيرة قيمتها، وتأثيرها من خلال مُسمّياتها نظرًا لما تعكسه من تصوّرات، على اعتبار أنّها عتبات تجذب القارئ، وتُغريه بالاطلاع على العمل الإبداعي والغوص فيه أكثر بُعْية التوصل إلى مواضيعه ومضامينه فمثلاً الغموض الذي اكتشف شخصية خاتم قد تلاشى تمامًا في نهاية النص، لتتكوّن صورة خاتم في خاتمة الرواية.

تكتسب شخصيات الرواية صفاتها وملامحها من التسميات والنعوت التي أطلقت عليها كـ : (خاتم: خاتمة الولادات، سند : سند للشيخ ولعائلته، هلال الجن : قوته مقترنة بقوى غيبية، ذو بشرة سوداء، ظهوره واختفاؤه مُقترن بالقمر...)، كما وظّفت شخصيات وأحداث تاريخية بعقريّة، مُدخلة فيها بعض التغيّرات الفنية مُعبّرةً بذلك عن الأحداث التي عاشتها مكة أثناء حرب المالك، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على براعة الروائية في استثمارها للأساء، وخلفياتها التاريخية، والمعرفية، وتوافقها مع طبيعة الشخصيات، وتصوراتها، وحالاتها الاجتماعية، والنفسية ممّا منح المتلقي تصوّرًا عامًا حول النصّ الروائي.

كما سعت الروائية جاهدةً إلى ترسيخ مبادئ النسوية وإبداء موقفها من الرجل، مُعليةً من صوت الأنثى، مع أنها أخبرتنا بأنّ الحالة التي عاشتها شخصية خاتم كانت بسبب حيلة الشيخ نصيب وما لجوءه إلى هذه الحيلة إلا لكونه واقع تحت تأثير قوة المجتمع وقيودها القاهرة، وكأنّها تؤدّ إخبارنا بأنّ الرجل هو الآخر خاضع للمجتمع حاله حال الأنثى، وأنّ النسوية مُطالبّة بالوقوف في وجه المجتمع أولاً، لا في وجه الرجل، فالرجل مجرّد وسيلة تُطبّق قوانين المجتمع ليس إلا.

قائمة المراجع:

1. بدري عثمان. (2000). وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ- دراسة تطبيقية- الجزائر: موف للنشر والتوزيع.
2. رجاء عالم. (2001). خاتم، 26 (المجلد 1). الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان: المركز الثقافي العربي.
3. زيتوني لطيف. (2022). معجم نقد مصطلحات الرواية (المجلد 1). لبنان: مكتبة لبنان ناشرون - دار النهار للنشر.
4. شفيق الأرنؤوط. (1979). قاموس الأسماء العربية - دراسة شاملة للأسماء العربية، ومعانيها ودليل للأبوين في تسمية الأبناء (المجلد 2). بيروت - لبنان: دار العلم للملايين.
5. عبد الله الغدّامي. (1998). الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشرّحية، نظرية وتطبيق. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. فيليب هامون. (2013). سميولوجية الشخصيات الروائية (المجلد 1). (سعيد بنكراد، المترجمون) دار الحوار، اللاذقية - سورية.
7. كوثر محمد على جبّارة. (2014). تبئير الفواعل الجمعية في الرواية (المجلد 1). اللاذقية - سوريا: دار الحوار.
8. مجمع اللغة العربية. (2004). معجم الوسيط (المجلد 4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.
9. مجموعة من الباحثين. (2013). عبد الفتاح كيليطو متاهات الكتابة، جامعة محمد الخامس - أكادال (المجلد 1). الدار البيضاء - المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- دار توبقال للنشر.
10. محمد عزام. (2005). شعرية الخطاب السردي. دمشق - سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.